التوضيحات

لما انتقده الشيخ جمعة من المنشورات

كتبه

أبو معاذ محمد بن حمو مرابط

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد بلغني كلام لفضيلة الشيخ عبد المجيد جمعة –حفظه الله– عن طريق (الواتس)، هذا نصه: (**بلغ الاخوة ألا يتناقلوا رسائل ذياك الهابط المرابط ولا يعطوه فرصة لرفع عقيرته ونشر خزعبلاته وليس مثله من ينشر له فهو كنافخ الكير ليس في العير وفي الباطل كالنفير**).

وقبل الولوج في مضامين التوضيح لا بد من التمهيد بأمر مهمّ:

كانت علاقتي بفضيلة الشيخ جمعة –وفقه الله– علاقة طيبة امتدّت إلىٰ عشر سنوات علىٰ أقل تقدير، استفدت منه كثيرا –وفقه الله– ولم أجد منه إلا الحب والتقدير، وانتصر لي في مناسبات كثرة وانتصرت له كذلك في محن عصفت به وبالدعوة السلفية، فكان نعم الشيخ ونعم الأخ الكبير أسأل الله أن يأجره علىٰ كل ما قدمه لي وللدعوة السلفية.

لكن قبل ثلاثة أشهر لاحظت علىٰ الشيخ شيئا من الانزعاج من بعض القضايا الحساسة والتذمّر من بعض إخوانه! فأوجست خيفة في نفسي، وخشيت بعدما رأيت بعض الأطراف تؤجج نار الفتنة أن تطرح هذه الفتنة عقولا وتنخلع لها قلوبا، وتأكدت أن هذه القضايا ستدخل أهل السنة في صراعات لا تحمد عقباها.

فوقعت أمور كثيرة جعلتني أعزم علىٰ إيصال الفكرة للشيخ، ووجدت نفسي بين نارين بعدما أراد البعض توريطي في القضية وإقحامي فيها كطرف، فلم أجد من حيلة إلا المصارحة، ففعلت ذلك مشافهة في المجلس الأخير مع الشيخ جمعة، ومراسلة معه كذلك

في الهاتف بصوتيتين كنت فيهما صريحا وصادقا معه –وفقه الله–، وأخبرته بعد المجلس برغبتي في عقد لقاء خاص معه في باب الواد حتىٰ يظهر لي حقيقة ما يجري ويقنعني برأيه، وأكدت له –وفقه الله– أنّني لن أتأخر عن نصرته إن ثبت عندي أن الحق معه، وذكّرته بضرورة الصبر علينا وعلىٰ أبنائه حتىٰ نفهم جيدا حقيقة ما جرىٰ.

لم أكن أتصور –ورب السماء– أن تتسارع الأحداث ويتخذ الشيخ مني موقفا بعد صراحتي معه، فمرت الأيام وتأكدت من ذلك عندما علمت أن الشيح يقول في مجالسه الخاصة أن مرابط فكّ الرباط! صبرت واحتسب، وحاولت الاتصال بالشيخ مرارا لكن الشيخ لم يجبني ولم يرد عليّ، فأرسلت له رسالة أخوية في الهاتف، ومن العجائب أن الشيخ نقلها في ردّه وهي والله –لمن عقل– حسنة من حسناتي، وفيها ردّ علىٰ من اتهمني بالتطاول علىٰ الشيخ وعدم التواصل معه، قلت فيها: «**السلام عليكم، قلت ما شئت أيها الغالي وتكلم كما تريد أيها العزيز، فمرابط هو مرابط الذي عرفته، يعز عليه أن تمس أعراضكم، مكانتكم في النفس لن تحركها العواصف والزلازل، ومحبتكم في القلب لن تخدش فيها الجيوش والعساكر، محبكم والمقدر لكم محمد**»

فالعاقل يلمس من الرسالة شدّة احترامي وتقديري للشيخ، ومحاولتي الصادقة أن أتودد إليه لعل الله يجعل في ذلك خيرا، لكن للأسف، فوجئت بكلام الشيخ وتجريحه، ولم أصدق ذلك إلا وأنا أتوسّط إعصارا من الانتقادات والمطاعن، وأشاهد كل من هب ودب يتهجّم عليّ في العام والخاص! لاسيما من حذرت منهم في حملة وقفة اعتبار.

انتظرت كثيرا وقلت لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا، صبرت وصبّرني بعض مشايخنا وعلمائنا، لكن بعدما تصاعدت وتيرة التهجم، اضطررت لكتابة هذا التوضيح براءة لذمتي، أسأل الله أن يسدد قلمي لتسطير ما أنتفع به وينتفع به من يبلغه.

البداية في المقصود:

تعجبت وملكت الدهشة قلبي بعد وقوفي علىٰ كلام الشيخ، وقلت لعل الكلام قد انتحل انتحالا، ونسب للشيخ الفاضل كذبا، لأن العادة غالبا تمنع هذا، فكيف يصير كلامي بجملته من جنس الخزعبلات؟! وهل يدخل فيه ما أنشره في نصرة الصحابة والرد علىٰ الحزبيين وعلىٰ رأسهم جماعة الحلبي؟ لأن قانون العربية ينسحب عليه، والتعميم والإجمال يربك القارئ ويتعب الصديق قبل العدو، فيضطر الجميع إلىٰ الاستعانة بما يحل مغلقات ألفاظه، فقد قلت مثلا في أواخر تغريداتي: (فضيلة الشيخ أزهر سنيقرة –حفظه الله– هو والدي وشيخي وأستاذي، عرضي دون عرضه، ونصرته فريضة عليّ في السر والعلن، أسأل الله أن يحفظه من كل سوء) وقلت كذلك: (الحلبيون في الجزائر من أخطر أهل البدع، وأشرهم من يتستر ويندس بين السلفيين! لهذا وجب التحذير منهم بأسمائهم، لأن إفسادهم يزداد يوما بعد يوم)، فهل هذه الكلمات من جملة الخزعبلات التي لا ينبغي نشرها؟

هذا من جهة مضمون الكلام!

أما من جهة المتكلِّم والمتكلَّم فيه! فلا أشك أبدا أن مرحلة الصدمة كانت مرحلة حتمية اجتازها كل من وقف علىٰ كلام الشيخ –وفقه الله– حتىٰ المقتنعون بحكمه! فقد صُدموا أولا قبل أن تتشكل لهم قناعة معيّنة! لعلمهم المسبق بالعلاقة الوطيدة التي تربطني بالشيخ فهي علاقة يعرفها القاصي والداني، ومن ذلك قوله –حفظه الله– في أخيه الصغير مرابط الذي سارت به الركبان ، حيث قال عنّي قبل ثلاثة أشهر: (الرجل كما أعرفه من خيرة طلبة العلم الذين جمعوا بين الهمة في الطلب وحسن الأدب وله جهود مشكورة في الدفاع عن السنة وأهلها والرد علىٰ أهل الباطل فاسمه مرابط يدل علىٰ مسماه فهو في رباط مستمر

نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكي علىٰ الله أحدا وما شهدنا إلا بما علمنا والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل)!

فما الذي تغير في هذه المدة الوجيزة؟ أصلح الله شأننا جميعا، وإن من اللطائف أن الشيخ – وفقه الله– مدحني بثمان صفات حميدة ونسخها بثمان صفات مشينة! كما في كلامه الأول حول الخزعبلات! والله المستعان

وأمر في غاية الأهمية لابد أن أبوح به: لقد كان الشيخ جمعة –وفقه الله– يخبر في العديد من المرات –وقد سمعتها منه مشافهة– أنه صبر علىٰ (شيخي)! ستّ سنوات كاملة! قبل أن يتكلم فيه! فما الذي زهده في الصبر علىٰ الطالب! مع أن الطالب تابع لا متبوع! وهو في الغالب مغرر به تقتضي الحكمة بأن يُصبر عليه أكثر مما يصبر علىٰ شيخه! فكيف صبر الشيخ جمعة علىٰ أخيه الدكتور ست سنوات ولم يصبر علىٰ التلميذ المسكين ستة أشهر علىٰ الأقلّ؟!

قلت كما سبق في مقدمة المقال أنّ الكلام المنقول عن الشيخ نزل عليّ كالصاعقة! ولم أصدق أن الشيخ قاله حتىٰ وافق الخبر الخبر وجاء تعزيزه في مقالة أخرىٰ تحت عنوان: **(رسالة إلىٰ خالد حمودة ومن كان علىٰ شاكلته)!**

صبرت طويلا لأنني لم أنشأ علىٰ مقارعة المشايخ ومواجهة المعلمين، ولم أتعود مواجهة هذا النوع من الفتن! ففررت إلىٰ ركن الصمت وألزمت نفسي وقمعتها علىٰ مضض، ونفعني الله بنصائح ووصايا مشايخي وإخواني، لكنّ للأسف كانت نظرة جمهور الخائضين نظرة قاصرة شابتها شوائب النفوس بمختلف صنوفها، وظن الكثير منهم أن صمتي كان عن عجز أو ضعف أو جبن! ووالله ما منعني من الكتابة إلا انتشار الجهل بأصول أهل السنة

وبمنهجهم القويم القائم علىٰ تعظيم الحق وبذل الغالي والنفيس في إظهاره والذب عنه ولو اقتضىٰ ذلك نقد الأكابر فينا!

لقد دفعتني الظروف القاهرة إلىٰ كتابة هذا المقال وما يتلوه من مقالات –وأرجو ألا أضطر إليها– وكان عزائي في أمرين مهمين:

أما الأول: فما سُمح به في شريعة الإسلام من دفع التهمة عن العرض وبيان العبد البراءة من القبائح التي تنسب إليه ولم تقترفها يداه! وحجج ذلك في نصوص الوحيين يضيق بسردها المقام! ومن أقواها وأوضحها ما رواه (البخاري 2401 ومسلم 1601) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتىٰ النبيَّ صلىٰ الله عليه وسلم رجل يتقاضاه فأغلظ له، فهمَّ به أصحابه، فقال: «**دعوه فإنّ لصاحب الحقّ مقالا**»، فلم تمنع مرتبة النبوّة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من قبول الحق مع ما فيه من (غلظة)!

أما الأمر الثاني: فإن أهل السنة اتفقت كلمتهم علىٰ جواز بيان خطأ العالم ولو بلغ درجة الإمامة! ولا حرج عندهم إذا كان المبيّن طالب علم أو تلميذا! فكيف لو أضيف إلىٰ ذلك أن يكون المتكلم صاحب حق دعته الحاجة لبيان موقفه مما يثار حوله، وقد سئل فضيلة شيخنا العلامة ربيع بن هادي المدخلي –حفظه الله– هذا السؤال: هل لطالب العلم الردُّ علىٰ العالم إذا رأىٰ من خطأ؟ وما هو الأسلوب الأمثل في ذلك؟ فقال –حفظه الله–: (والله له الحق في ذلك بأدب وبشرف، والله إذا كان الحق ظاهرًا للطالب؛ فله ذلك، إذا كان الكبار ما يبيِّنون الحق؛ مثلا بعيدين ما انتبهوا، لهم عذر من الأعذار، وهذا عرف الحق وأن هذا الشيخ الكبير أخطأ، فيبيِّن له خطأه بلطف وبالحجة، بشرط أن لا يتعالىٰ، بشرط أن لا يكون واهمًا مبطلا ويرىٰ نفسه علىٰ الحق؛ لأن بعض الناس يرىٰ نفسه علىٰ الحق وهو علىٰ

الباطل، فإذا كان طالب العلم بصيرًا علىٰ حقيقة أن هذا قد أخطاء والحق معه؛ فليقدِّم ما عنده من ملاحظة، بالشروط التي ذكرتها) (الذريعة).

هذا مختصر ما أردت بيانه في هذه المقدمة التي سأمدها –لاحقا– بتفصيل أكثر أكشف فيه جوانب مهمّة مما وقع! والآن أدخل في صلب الموضوع فأقول:

قال الشيخ جمعة –وفقه الله–: (أقول لخالد حمودة، ومن كان علىٰ شاكلته: إن بتغريدة تلك، تثبت أنك مقرّ وموافق لصاحبك مرابط علىٰ ما خطّته يده في تغريداته الأخيرة، ولا أريد أن أناقشك في مضمونها، رغم ما فيها، **بل كتبت بقلم غير سلفي**؛ لأن الحكم علىٰ الرجل بحاضره، وليس بماضيه، والأمور بالخواتيم؛ ولهذا قال السلف: «من كان مقتديا فليقتد بمن قد مات فإن الحي لا تأمن عليه الفتنة». وحسبك كذبا أنك تدّعي معرفته مذ عشرين سنة؛ فليت شعري، متىٰ مضىٰ من عمركما؟! ومتىٰ التقيتما؟!)

التعليق: يقصد الشيخ –وفقه الله– بقوله (إن بتغريدة تلك) تغريدة أخي الشيخ خالد حمودة –حفظه الله– التي امتدحني فيها، وسأترك التعقيب علىٰ أكثر جزئيات كلام الشيخ جمعة –وفقه الله– إلىٰ وقت لاحق، وأحاول جمع الفكرة في موضع (التغريدات) لأن مضمون توضيحي يرتكز أساسا علىٰ رفع ما أشكل منها، وكشف ما أبهم من كلام الشيخ حولها! لاسيما وقد وجدت أكثر الناس لم يفهموا بعد ما الذي ينقمه الشيخ علي في تلك التغريدات!

قال الشيخ جمعة –حفظه الله–: (فقط عندي بعض الأسئلة أريد أن أطرحها عليك، فأقول: **أولا**: هل تقر وتنصر قول صاحبك مرابط: «**إخواني الأفاضل حركتم المشاعر بكلماتكم النبيلة فجزاكم الله خيرا ولن أنساها لكم! ثم اعلموا أن شياطين الإنس والجن قد اخترقوا صفوف مشايخكم وأوغلوا في الإفساد والتحريش فكونوا عونا لهم عليهم، واحذروا التخاذل والركون إلىٰ كتمان الحق، وقوموا لله قومة الصادقين، فالدعوة السلفية تتعرض**

لأشنع الهجمات وأفتكها، حاولت واجتهدت صبرت واصطبرت لكن ما الحيلة.. أخوكم محمد» ولما أرسلته إليك أجبتني بقولك: «**الله المستعان.. بخصوص كلام محمد الله المستعان، أنا أعرف قصده به، وقد هوّل وبالغ وعمَّم، وسأطالبه بتدارك الأمر، فلعله يصلحه إن شاء الله»**

التعليق: من إنصاف الشيخ جمعة –وفقه الله– أنه نقل كلامي حرفيا، وهو كلام ثابت عني قلته في مجموعتي (روضة المحبّين)، لا أجد في نفسي أي حرج في إعادته وتكراره لأنّه كلام أملاه عليّ ضميري، ووجدت شواهده بنفسي وعاينتها عن قرب!

ومناسبته: أن الشيخ –أزهر –حفظه الله– غرّد في حسابه وأبلغ الناس أن مرابط انسحب من (التصفية) وشكرني وامتدحني –جزاه الله خيرا– فعم الناس يومها حقيقة استقالتي، وعلق أعضاء المجموعة بكلمات نبيلة وعبارات لامست المشاعر، فاضطررت لإظهار ما في الفؤاد مما تعلق بتلك الاستقالة.

فالشيخ جمعة –حفظه الله– يريد منّي أن أقتنع كما اقتنع هو وأن أقنع غيري بأن الخلاف بينه وبين إخوانه هو خلاف مشروع سببه انحرافات منهجية انتقدها علىٰ غيره، وهذا ما لم أقتنع به! بل رأيت ولا زلت أن ما وقع بين المشايخ إنما هو من عمل شياطين الإنس والجن! وأن الأخطاء الثابتة من جميع الأطراف ما كانت لتعالج إلا بالطرق الشرعية ومن أنفعها التحاكم للعلماء.

فقراءة الشيخ جمعة –وفقه الله– لكلامي إنما هي قراءة من زاويته الخاصة، وإلا فكلامي واضح لا غموض فيه، نبّهت إلىٰ ضرورة التحرك لإخماد هذه الفتنة قبل وقوعها، وليس ذلك لقوة علمي وعلوّ منزلتي وإنما ابتليت بما رأيته بنفسي فكنت شاهدا أوجب الله عليّ الإدلاء بشهادتي، أما تفصيل الكلام في شرح كلامي فسأتركه لمقام آخر، إنما أردت في هذا الموضع بيان قراءة الشيخ جمعة لكلامي، وأنني ما زدت علىٰ البوح بما أراه حقا وصوابا، فكان علىٰ الشيخ أن يظهر للقارئ وبكل جلاء أن الخلاف مع فلان وفلان هو خلاف

منهجي وليس خلافا بين الإخوة حتىٰ يظهر معنىٰ انكاره لكلامي أكثر وأكثر، وحينها سينصفني القارئ لا محالة لأن الخطأ من أجل الصلح والإصلاح ليس كالخطأ من أجل التفرقة والإفساد، والنبي صلىٰ الله عليه وسلم قد أباح الكذب من أجل إصلاح ذات البين يقول سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: (**الكذب في الإصلاح لا بأس به؛ بل صاحب الإصلاح مأجور وإن كذب؛ لما ثبت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيقول خيراً وينمي خيراً) سماه غير كذاب، فالذي يصلح بين الناس بين رجلين مختصمين أو بين قبيلتين، أو بين الأسرة فيكذب كذباً لا يضر أحداً، وإنما ينفع الأسرة ويسبب الصلح بينهم لا حرج في ذلك**) (فتوىٰ مسموعة بعنوان: حكم الكذب من أجل الإصلاح).

ووالله! كم وددت لو أن شيخنا اتصل عليّ واستفسر مني لأوضح له مرادي وأظهر ما قصدته بقولي (شياطين الإنس) وكنت سأذكر له الأسماء التي أعتقد أن دين الله يحتم علينا التحذير من أصحابها والتشهير بهم.

قال شيخ جمعة –وفقه الله–: (ثم لما راجعتَه كتبت لي رسالة، ولفظها: «**قد كلمت أبا معاذ، وأخبرني أنه كلام خاص في مجموعة مغلقة، وقد أساء بعضهم فهمه، وخان أمانة المجموعة مَن نقله إليكم. وقصده التحذير من بعض من يعرفهم بأعيانهم من المفسدين الذين يسعون للفساد والإفساد. وقال إنه أراد بذلك أن يغلق موضوع انسحابه من التصفية ولا يتكلم فيه بكلمة أخرىٰ، والتزم بذلك، والله المعين**»

التعليق: أحمد الله أن رزقني مصاحبة الشيخ خالد، فعلاقتي به قد يعجز عن فهمها الكثير من الناس، فما قاله في الرسالة الخاصة قاله بحضرتي! فقد كان يومها في مسجده يوم الجمعة فاتصل بي وأنكر عليّ ثم التقينا في نفس اليوم وتناقشنا ووضحت له وجهة نظري والشيخ خالد لم يكن له تصور دقيق للقضية، ومراسلة الشيخ جمعة يومها أحرجته كثيرا فهو يحترم الشيخ كثيرا ونظر في رسالته وكأنها شكوىٰ من الشيخ أظهر فيها تضايقه من كلام صاحبه مرابط، فخشي خالد أن تتأزم القضية، لكن سرعان ما تفهّم الأمر.

قال الشيخ جمعة –وفقه الله–: (كذا قال: **«كلام خاص في مجموعة مغلقة» هل صارت الدعوة السلفية صوفية إخوانية؛ لها كلام في العام وكلام في الخاص، أم أن ما نقوله للخواص لا يقال للعامة حتىٰ لا نفتضح)**

التعليق: غفر الله لي ولشيخنا جمعة، كيف اعتبر الكلام الخاص دعوة صوفية إخوانية! وقد عُلم من دين الله أنّ ما يقال لخاصّة الناس لا يقال لعامتهم! وأن من المسائل ما لا تطرح إلا علىٰ خاصة الخاصة! ومن أصول هذا الباب ما أورده الإمام البخاري رحمه الله في كتاب العلم من صحيحه تحت باب: (باب من خصّ بالعلم قوما دون قوم كراهية ألاّ يفهموا) ثم أورد تحته أثر علي رضي الله عنه: (حدّثوا الناس بما يعرفون أتحبّون أن يكذّب الله ورسوله)، وكذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه كما في (مقدمة مسلم): (ما أنت محدثا قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة).

ووالله قد عرفت شيخنا جمعة –وفقه الله– ملتزما بهذا الهدي النبوي، وكان أكثر ما ينكره علىٰ الناس نقلهم لكلامه الخاص! بل حفظت منه في مناسبات عديدة قوله وهو يحدّث بأمور خاصة: (المجالس بالأمانة يا إخوان)! وشواهد ذلك سأتركها ربما لوقت لاحق.

فجلّ من لا يخطئ ويسهو عن مسائل مشهورة معلومة! وهذا لا ينقص من مكانة المتكلم عند أصحاب العقل والوفاء! قال الكسائي صَلّيتُ بالرّشيد، فأخطأت في آيةٍ ما أخطأَ فيها صَبيٌ، قلت: "لعلَّهم يرجعين"، فوالله ما اجترأ الرّشيد أنْ يقولَ: أخطأت، لكن قال: أيُّ لُغَةٍ هذه؟ قُلتْ يا أميرَ المؤمنين! قَدْ يَعثُرُ الجَواد، فقال: أما هذا فنعم (سير أعلام النبلاء 9/ 133)

وأزيد توضيحا لهذه الجزئية: أن المجموعة ليس كما تصورها الشيخ مغلقة وخاصة بالمعنىٰ المتبادر إلىٰ الأذهان! وإنما القصد من ذلك أن المجموعة ليست كسائر المجموعات التي فتحت أبوابها لكل الناس، وقد التزمت في مجموعتي بشرط لم أتنازل عنه وهو معرفتي الخاصة بالعضو قبل إدخاله، ووضعت للأعضاء شروطا منها: (لا يسمح بنقل كلام العضو وتصويره إلا بإذنه)! فالشرط عام سبق قضيتنا هذه وهو يشمل حتىٰ الكلام

في الفقه والعقيدة فلا يحق لعضو أن ينقل كلام أخيه خارج المجموعة حتىٰ يستأذن من صاحبه.

والذي حدث في ذلك اليوم: أنني وبعد أن عرفت أن أحد الأعضاء نقل كلامي للشيخ جمعة –وفقه الله– تيقنت أن الناقل أراد شيئا بفعلته هذه! ووالله وبالله لو أنه نقله في حسابه علىٰ العام لينظر فيه الناس ما كنت لأتضايق كما تضايقت عندما عرفت أن الكلام نقل للشيخ! فالرجل نقل كلامي للشيخ وهو يعلم أن أشياء وقعت بيني وبينه –وفقه الله–، فنبهت في المجموعة وطلبت من الناقل أن يتصل علىٰ الخاص فلم يحدث هذا، فاضطررت للتواصل مع من شككت فيه علىٰ الخاص وسألته بكل أخوة وأدب: (**أخي سامحني ممكن أنت نقلت كلامي بحسن نية؟ أريد أن أتأكد فاعذرني ولا تنزعج أرجوك**) فأجابني: (**أبشر ما أرسلتها إلا للشيخ عبد المجيد من باب أنه من إخواننا من يذب عن أعراض مشايخنا، ورغم ذلك فأنا أعتذر إليكم والعذر عند أهل الفضل مقبول**).

فانظر رحمك الله شيخنا: فالرجل –وهو إمام طالب علم ومن أقرب الناس إليك– فهم من كلامي أنه دفاع عن المشايخ ونقله إليكم بهذه النظرة الطيبة كما أخبرني! فلا أدري كيف فهمت منه خلاف ما فهمه هو وجميع أعضاء المجموعة.

قال الشيخ جمعة –وفقه الله–: (وقوله: «**وقد أساء بعضهم فهمه**» وكأن الرجل يتكلم بالرموز، أم صرنا نحن زنوجا لا نفهم؟)

التعليق: ليس كذلك شيخنا –وفقك الله– فليس من الضرورة أن يكون الكلام بغير العربية حتىٰ لا يفهم! فهذا كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقد نزل بلسان عربي مبين وقد أساء أقوام فهمه! فكيف بكلام مرابط!

بل ها أنت شيخنا وفي وقت قريب جدا قلت للشباب في المدينة: لم تفهموا كلامي؟ بعدما نقلوا عنك كلاما مطولا في التحذير من فلان وفلان! فهل تكلمتم يومها يا شيخنا العزيز بالرموز؟! أم صار السامعون حينها زنوجا؟!

قال الشيخ جمعة –وفقه الله–: (وقوله: «**وخان أمانة المجموعة مَن نقله إليكم**» هل أصبح كشف مثل هذا الكلام من الخيانة، أم واجب تبليغ الأمانة تبليغه؟ فما أسهل التهم).

التعليق: قد مرّ بنا قول الناقل وأن قصده كان حسنا –علىٰ حسب ظاهر كلامه– فهو لم ينقل كلامي للشيخ جمعة بنيّة التبليغ! أو الإنكار! بل بنيّة الإشادة بموقفي والثناء علىٰ كلامي! وجوابه عندي مصور قد أضطر لنشره.

ثم كيف لا نحكم علىٰ فعلته بالخيانة ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال كما في الحديث الذي رواه (الترمذي 1352): (المسلمون علىٰ شروطهم)! اللهم إلا إذا كان الشيخ جمعة علىٰ قول أهل الظاهر في اعتبار الحظر هو الأصل في الشروط والعقود إلا ما ثبت في الشرع! وهو قول مرجوح يعارضه قول جماهير الأئمة في أن الأصل في الشروط الجواز إلا ما ثبت في نصوص الوحيين بطلانه!

فالرجل وافق علىٰ شروط المجموعة ثم خالفها وهو نفسه اعتذر عن خطئه! مع العلم أنني وضعت شروط المجموعة قبل ظهور هذه الفتنة بزمن طويل، وأكدت علىٰ هذا الشرط عندما رأيت من نقل كلام عضو من طلبة العلم وفيه ما فيه من الخلل في العبارة والأخطاء الكتابية، وقد رأينا شيوخنا يلقون الدروس وعندما تفرغ وتجهز للطباعة يدخلون عليها التعديلات ويصححون ما يرونه ملائما للكتابة لا للخطابة، فالشرط لم أضعه ابتداء للكتم والتستّر! بل لتقييد الأعضاء بقيود الشرع، فالكاتب هو صاحب الكلمة وهو الأحق بنشرها.

ثم ألا ترىٰ يا شيخنا أن فتح باب النقل وتبليغ كلام الناس علىٰ مصراعيه قد يسهم في انتشار النميمة! فالناس لا يتقيدون بقيد، وهوىٰ أكثر الخلق في القيل والقال، فإطلاق الكلام من غير تحديد لشروط تضبط هذا الباب سيجر علينا مفاسد عظمىٰ وواقعنا اليوم خير شاهد.

قال الشيخ جمعة –وفقه الله–: (**ثانيا**: هل تقر وتنصر قول صاحبك في مقاله الأخير: «بلاسم الجراح» وفيه بلايا، وكأنه طبيب جرّاح، وليس هذا موضع بيانها، لكن حسبي أن أنقل عبارة واحدة، تنبئ عن شخصية الرجل، وتحوّله، وهي قوله: «**سأحاول في هذه العجالة أن أمدّ**

للحائر في ظلمات الزيغ، بعض حبائل النجاة المنسوجة من نصوص الشرع وآثار السلف، تخلص الآخذ بها –بإذن الله– من غياهب الفتن والشكوك والأوهام، وترفعه إلىٰ مراتب العقل والفهم والثبات» وهل رأيت أحدا أشدّ إعجابا وأكثر زهوًا بنفسه منه؟! حتىٰ كأنّه نصب نفسه مجدّدًا ومخلِّصًا لهذه الأمة من الفتن، ووالله لو قيلت لشيخ الإسلام ابن تيمية لتبرأ منها، وقد علقت عليها، فقلت: «وتأمّل ما تحتويه: العلاج من الفتن تكون في عجالة؛ وكأن الرجل بيد عصا موسىٰ؛ في حين أنّ الله تعالىٰ ذم العجلة. وأيضا حبائل النجاة بيده؛ وكأنه صاحب موسىٰ الذي قال: {**يا قومي اتبعوني أهدكم سبيل النجاة**}. ومن لم يتبعه فالويل له من الفتن والشكوك والأوهام. وأيضا وثالثة الأثافي أنه يرفع من اتبعه إلىٰ مراتب العقل والفهم والثبات، وكأن الناس في جنون وجهل، وسفه، وانحراف فأراد هذا الزعيم أن ينقذهم مما هم فيه ويخلصهم منه؛ فهنيئا للأمة الإسلامية والدعوية السلفية من مجددها ومخلصها من الفتن؟!)

التعليق: مقال (بلاسم الجراح) نشرته وقد راجعه ثلّة من طلبة العلم، وقد تلقاه أكثر القراء بالقبول وتعليقاتهم شاهدة، ولا غرابة من ذلك لأن قراءتهم للمنشور كانت قراءة خالية من كلّ توجّه مسبق! أما قولكم –حفظكم الله– (وفيه بلايا) فسأكشف عن جوابه قريبا في (**الجواب الوضَّاح علىٰ من طعن في بلاسم الجراح**)، وآمل أن تُظهر –وأنا لك شاكر– شيئا من تلكم البلايا وإنّي –والله– مستعد أن أرجع عنها وأنفي في التراب راغم، وكم تمنيت لو راسلني الشيخ وأطلعني علىٰ بعض هذه البلايا نصحا منه وشفقة علىٰ أخيه الصغير! وأذكر قوله –حفظه الله– عن عبد الحميد العربي يوم أن شهر ببعض أخطائه كما في الحلقة الرابعة من مقاله (التعليقات): (**فاهتبلها الرجل فرصة سانحة وغنيمة باردة للطعن والغمز والهمز، وكان الأجدر به، أن يقدم نصيحة في طبق من ذهب متحليا بالإنصاف متخلّيا عن الاعتساف**)! فهذا العربي العدوّ المبين وقد انتظر منه شيخنا نصيحة وليس تشهيرا! فكيف أقول وأنا الصاحب والتلميذ.

وأمّا ما قلته يا شيخ جمعة –غفر الله لي ولك– في هذه الفقرة فهو لا يخرج عن اتّهامي في نيّتي، والتشكيك في قصدي، ثم ألا ترىٰ –رحمكم الله– يا شيخنا أنّ قولك: (**نصب نفسه مجدّدًا ومخلِّصًا لهذه الأمة من الفتن**) هو مناقض لما جرىٰ به قلمي؟! فأنا قلت: (**سأحاول في هذه العجالة أن أمدّ للحائر في ظلمات الزيغ**)! فخطابي كان متجها أصالة للحائر! وليس للأمّة، وأكّدت أنّي (**سأحاول**) ولم أجزم!

وهنا لفتة مهمّة:

الكلّ يعرف ويذكر حملة (وقفة اعتبار لتصحيح مسار) قلت فيها بكل تأكيد أكثر مما قلته في بلاسم الجراح، فلماذا أيّدني الشيخ جمعة يومها في تلك الحملة وامتدح كتاباتي وقتها ولم يتهمني بما اتهمني به اليوم؟! مع أن تصحيح المسار ليس بالمشروع الهيّن السهل!

قال الشيخ جمعة –وفقه الله–: (**ثالثا:** أقول لحمودة ومن كان علىٰ شاكلته: هل تنصر صاحبك مرابط، وتقر هذه التغريدة الأخيرة، وهي قوله: «**لو كان سفهاء اليوم زمن الألباني وكانت وسائل التواصل بحوزتهم لرأيت منشوراتهم: كلام الألباني في ابن عثيمين! وتحذير ابن باز من الألباني! وطعن الألباني في التويجري!وكلام الشنقيطي في الألباني،وصدق القائل:نكون في زمن نبكي منه فإذا مضىٰ بكينا عليه، فاللهم رحماك فقد اشتد الأمر وعظم البلاء**» ووالله لو حذف اسمه لقيل في أول وهلة جزما، ودون تردد: هذه التغريدة للمسعودي –المسعوري– أو لأبي المخازي ومن كان علىٰ شاكلتهما، بله للحلبي أو الرمضاني، وهذا غيض من فيض، ولجة من مجة من تغريداته الأخيرة بعد استقالته من التصفية، وكنا نحسبه علىٰ خير، ونعزّه، وندافع عنه)

التعليق: والله قد كفيتني في هذا الموضع مؤنة البيان بقولك –وفقك الله–: (**ووالله لو حذف اسمه لقيل**) وهو جواب بالغ ينهي الجدل في بدايته! فالسلفي المشهور بسلفيته يفهم قوله وموقفه من خلال ما عرف به! وشيخنا جمعة وإخواني يعرفون مرابط ويعرفون موقفه من جماعة الحلبي والرمضاني، فما الذي يدفعنا لنزع الاسم يا شيخنا؟!

يقول العلامة عبيد الجابري –حفظه الله– كما في (الحد الفاصل): (**فمن نهاني عن الاشتغال بالردود، وترك المسائل العلمية، أنا لا أشططٌّ عليه، لا أشططٌّ عليه إذا عرفتُ أنه من أهل السنة، أعرف أنه يريد نصحي، ويريد أن أحصِّل أبوابًا من العلم. نعم أهل البدع هم الذين ينهون عن الردود نهيًا مطلقًا؛ اتركوا الردود، دعوا عنكم الردود، فيها مضيعة للوقت، وفيها مَشغلة عن العلم، نهيًا مطلقًا، لكن أهل السنة لا ينهون نهيًا مطلقًا، وإن قال هذه العبارة مطلقًا في وقت، لكن جل وقته أو كثير من وقته يريد هذا؛ نعرف هذا من حاله ومقاله**)

فالذي رمىٰ إليه شيخنا الجابري –حفظه الله– هو وجوب النظر في القائل وحسن الظن بمقوله إن كان معروفا بنصرة السنة وكان كلامه صحيحا مستقيما!.

وقد وقع لكم شيخنا –وفقكم الله – نفس ما وقع لي في هذا الموضع، وقلت يومها –وفقك الله– كما في الحلقة الرابعة من (التعليقات) ردّا علىٰ العربي الذي اتّهمكم ظلما بانتقاص الصحابة: (هب أن العبارة قد تضمنت الطعن في الصحابة، وأنه لم يقلها أحد من العالمين، وانفرد بها هذا العبد الضعيف، **ألن يكفيك أن تحسن الظن بقائلها؟! وتلتمس له أدنىٰ عذر، فلعله أخطأ ولعله سبق لسانه** ...إلخ، وأنت تعلم أنه ليس رافضيا خبيثا، وأنه يعظم الصحابة ويترضىٰ عنهم...ألن يكفيك أن تنبّه علىٰ الخطأ نصحا لأخيك برفق وإظهار حسن نية بدلا من إثارة الفتنة، وملأ موقعك بالضجيج والهجيج، وتألبك وتثلبك، وتأليب حثالتك من تلاميذي العاقين المارقين الذين أعرف مستواهم أحسن منك، وتثليبهم ظلما وعدوانا؟!).

ما أشدّ ألم الظلم علىٰ الفؤاد شيخنا جمعة!

أمّا تغريدتي: فوالله ما غرّدت بها إلا لأني اعتقدت أن مضمونها حق وصواب، فأنا قصدت بصريح عبارتي (**السفهاء**) وليس أهل السنة! فضلا عن المشايخ والعلماء! وتكلمت عن (**وسائل التواصل**) ليس إلاّ، وسبب التغريدة أنّي رأيت منهم طائفة تنقل كلام الشيخ عبيد الجابري عندما تكلّم عن قضية الشيخ محمد بن هادي بكل بساطة وتنشره وكأنه تحذير وثلب! فكتبت مباشرة علىٰ حسابي تلكم التغريدة، ووالله –ولست مضطرا للقسم– لم أقصد غير هذا.

وليت شعري! كيف نتنازع في هذا المعنىٰ؟! وكيف كان سيفعل سفهاء الفيس بوك زمن (أزمة الخليج) الأولىٰ لو عاشوها؟ وما أفرزته من خلافات شديدة بين بعض أهل العلم!
ولو أن السفهاء اليوم كانوا متواجدين بحساباتهم يوم أن طبع الشيخ الدويش كتابه في الرد علىٰ الألباني (تنبيه القارئ) وقد قدّم له الإمام ابن باز؟! ويوم أن طبع التويجري كتابه (الصارم المشهور) ردّا علىٰ الألباني.
فأنا قررت أن السفهاء كانوا سيضعون هذه العناوين لو كانوا في ذلك الزمن! ولم أقصد أن ابن العثيمين طعن في الألباني! بل هي مسائل اختلفوا فيها منها الفقهية ومنها المنهجية ومنها ما تعلق ببعض النوازل، ولم يطعن بعضهم في بعض وكانت عقول أكثر الناس يومها أرجح ونفوسهم أهدأ بخلاف حالنا اليوم.
قال الشيخ جمعة –وفقه الله–: (**رابعا**: أقول لحمودة: هل تنصر صاحبك وتقر تغريدته في بيانٍ تضمّن أكثر من عشرين طعنة في السلفيين بصريح اللّفظ والدلالة، في فقرتين فقط، وهم كثر –علىٰ حد لغة البيان–، وأصر علىٰ مباركته وتأييده، وهذا الكم من الطعون لم يقل في جميع الطوائف علىٰ اختلاف مللها ونحلها، وسلم منها الحلبيون والرمضانيون؛ بل يحظىٰ بعضهم بالإكرام والقرب والإعظام، بل بالدفاع عنهم، وهجر من يعاديهم، ولم يسلم منها «إخواننا» (علىٰ حد لغة البيان) السلفيين)
التعليق: التغريدة التي عناها الشيخ هي في الحقيقة تعليقي علىٰ صوتية الشيخ عز الدين رمضاني –وفقه الله– في مجموعتي وليست هي بتغريدة، قلت يومها: (**كان عبد المالك قبل أيام قد سجّل صوتية تكلم فيها عن مشايخ الإصلاح بسوء مستغلا هذا الوقت تحديدا لينشر مطاعنه، لكن الحمد لله أن صوتيته كانت سببا في صوتية الشيخ عز الدين حفظه الله فكثير من المغفلين كانوا يحتجون بسكوت الشيخ عز الدين بل وصل الحال ببعضهم ليكذب ويزعم أن الشيخ عز الدين يوافقهم**).

فأوّلا: أنا علىٰ يقين أن أكثر من نقل كلام الشيخ جمعة في تجريحي لم يفهم ما قصده الشيخ بكلامه لاسيما في هذه الفقرة، ولم يتفطن أكثر الناقلين والخائضين إلىٰ أن الشيخ يقصد بكلامه بيان أحد إخوانه!

ثانيا: لا أدري لماذا طرح الشيخ سؤاله علىٰ الشيخ خالد –حفظه الله– مع أن موقفه سجّله بتعليقه علىٰ البيان يومها! وكان واضحا من أول يوم بالخطاب والكتاب، وفرح كما فرح أكثر إخوانه ببيان الشيخ عز الدين.

ثالثا: ذكرت لك يا شيخنا جمعة يومها أنني لست مقتنعا بكلامك في هذه الجزئية وأن الشيخ لم يطعن في السلفيين وإنما قصد بعض الفتانين المشاغبين وأنا أعرف بعضهم وكان الشيخ صادقا في توصيفهم، وقلت لك بكل صراحة: حتىٰ لو طعن فيهم فهم لا يمثلون السلفيين ولا يمتحن بهم.

رابعا: حتىٰ يظهر للمتتبع الكلام الذي قصده الشيخ جمعة –وفقه الله– أنقله بحرفه مع التذكير أن الشيخ جمعة وفي جلسة خاصة معه عيّن لي بالقلم الموضع المقصود!وهو: (**كما لا يفوتني أيضا أن أوجه نصيحة إلىٰ بعض إخواننا الشباب هداهم الله الذين سعوا بالنميمة...**)

فصاحب البيان –وفقه الله–وجّه نصيحة لمن وصفهم بالإخوة الشباب! ولم يوجه كلامه للسلفيين بل نصح من أسهم في تأجيج الفتنة وامتدت أيديهم للعبث بنعمة الجماعة، وصنيع الشيخ له نظائر في كتب العلماء وعلىٰ رأسهم الشيخ ربيع!

وأخيرا: أنبه وأشير إلىٰ بعض التغريدات التي هي (خزعبلات) في نظر الشيخ كتبتها بصدق وحملني علىٰ نشرها ما رأيته بنفسي من بوادر فتنة عمياء هجمت علىٰ بيضتنا، ووالله لم أكن منحازا لأي طرف، ولم أهتم يومها إلاّ بتذكير نفسي وأشياخي بنعمة الاجتماع وخطر

شياطين الإنس والجن، وحتىٰ لو أخطأت في مساعي الصلح فخطئي ليس بأشنع من خطأ من سعىٰ في التفريق والإفساد!

ولا بأس أن أنقل شيئا من تلكم التغريدات التي أثارت استنكار الشيخ جمعة وفهم أنه المقصود بها.

فمنها قولي: (الأقران في الإيمان والعلم قد تحضرهم شياطين الإنس والجن! لكن سرعان ما تضمحلّ نزغاتهم وتكون النتيجة كما أخبر الله سبحانه.. فإذا هم مبصرون)

وقولي: (تكلم الشيخ ربيع في المخالفين، بالحجة والبراهين، ثم صبر عليهم وعلىٰ أتباعهم، وحدث الناس بما تدركه عقولهم، فقبل كلامه، وانقاد الناس لأحكامه.)

وقولي: (ثغرة لابد أن تسد: طلبة العلم والدعاة من أحوج الناس إلىٰ التواصل بينهم! ويتأكد ذلك في هذه الأيام بعدما جنحت شياطين الإنس والجن إلىٰ التحريش بينهم)

وقولي: (أنفع الناس للمخلص، وأصدقهم في صحبته، هو من بالغ في نصحه، وأعانه علىٰ نفسه، وكان حاجزا بينه وبين هواه وشيطانه، والمحروم من حرم هذا الصاحب!)

وقولي: (يقول الشيخ العثيمين رحمه الله في (شرح رياض الصالحين 3/ 32): (وكلما كان الرجلان أقرب صلة بعضهما من بعض فإن الصلح بينهما أوكد) فلننتبه إلىٰ هذا)

وقولي: (يقول العلامة ربيع: هل عندما نرىٰ النيران تشتعل نأتي ونَصب عليها البنزين لنزيدها اشتعالا؟ أو نأتي بالأسباب الواقية التي تطفئ هذه الحرائق والفتن؟)

وقولي: (التمسك بالسنة، واتباع هدي السلف، والصدق في نصرة الحق وأهله، هي مجرد شعارات في الرخاء ستُصدقها أو تكذبها -لا محالة- امتحانات الشدّة والفتن! فقد أكرم الله

أهل السنة بغربال (الغربة) وجعله مِنحة للصادقين ومحنة للكاذبين! {أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون}).

ووالله الذي لا يحلف بغيره ما قصدت الشيخ جمعة ولا غيره —ومستعد أن أباهل علىٰ هذا— وإنما هي كلمات عامة أردت بها التذكير والنصيحة، ولا أنكر أنني كنت شديدا وقاسيا في بعضها، وما حملني علىٰ ذلك إلا حب الخير لمشايخنا والحرص علىٰ اجتماع كلمتهم.

آخر ما أقوله وأسأل الله أن يجمع بين قلوب أهل السنة في بلادنا الجزائر، وأن ينزل عليها السكينة والرحمة.

كتبه

أبو معاذ محمد مرابط

ليلة الأربعاء 17 ربيع الأول 1439 هـ

الجزائر العاصمة